المرأة وأدب الطفل
رؤية إسلامية

إعداد: وفاء إبراهيم السبيل *

المقدمة:

هل يمكن أن ينهض أدب الأطفال لدينا لو وجد الحماسة والجدية من قبل المهتمين به في عالمنا العربي؟ وهل ننتظر من المرأة الأديبة الإسلامية تفاعلاً إيجابياً تجاه هذه القضية؟ ولماذا المرأة بالذات يمكنها القيام بدور فعال في سبيل تقديم أدب أطفال متميز لأطفالنا في عالمنا العربي؟. أسئلة كثيرة يمكن أن تطرح حين الحديث عن المرأة وأدب الطفل، وهي تنتظر الإجابة عنها من قبل المهتمين والمهتمات بأدب الأطفال من باحثين وأدباء ومبدعين.

وأدب الأطفال كما يعرفه الباحثون: هو مجموع الإنتاج الأدبي المقدم للأطفال والذي يراعي خصائص وحاجات مراحل النمو المختلفة، فهو يشمل الأشكال والقوالب الفنية المختلفة من قصة ومسرحية وشعر، ويقدم عبر الوسائط الفنية المختلفة من كتاب ومجلة وشريط وفيلم.

وهناك تعريف جامع لأدب الأطفال وهو: أن أدب الأطفال يشمل «الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة فنية سواء أكان شفوياً بالكلام أم تحريرياً بالكتابة».[1] وهو في الحقيقة لم يحدث في نفوس الأطفال المتعة الفنية إلا لأنه مناسب في شكله ومضمونه للمرحلة العمرية التي يمرون بها.

(*) كاتبة سعودية ماجستير في أدب الأطفال من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(١) أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، ص٢٧٩.

وانطلاقاً من هذا التعريف نستطيع أن نقول: إن المرأة بحكم قربها من الطفل ومعرفتها بالطفل منذ ولادته وعبر المراحل العمرية المختلفة، هي أقدر من الرجل على الولوج في عالم الأطفال خاصة إذا كانت تمتلك الخيال الواسع والتفكير الخلاق.

ومن خلال هذا المنطلق يناقش هذا البحث موضوع المرأة وأدب الطفل والدور المنتظر من الأديبة العربية [١] خاصة بعد تحديد الأسباب التي يمكن أن تكون وراء عزوف الأديبات العربيات عن الكتابة في أدب الأطفال. وفي نهاية البحث نعرض لبعض جهود الأديبات في الجزيرة والخليج العربي كبداية للطريق المأمول الذي يجب أن تسير فيه المرأة المبدعة من أجل مستقبل أفضل لأطفالنا.

١- المرأة وأدب الطفل:

مما لا شك فيه أن الكتابة للطفل ليست حكراً على جنس دون آخر، فالرجل والمرأة على حد سواء يمكنهما الخوض في الإنتاج الإبداعي المقدم لجمهور الأطفال دون تمييز أو تفرقة، كما أنه بإمكان كل منهما تقديم أدب جيد ومتميز للأطفال.

والمتأمل في الإنتاج العربي أو العالمي المقدم للأطفال يدرك هذه الحقيقة في أنه لا فرق في القيمة الفنية للعمل المقدم للطفل عند النظر إلى مبدعه. فهناك أعمال كثيرة متميزة وهي من إبداع المرأة أو الرجل على حد سواء.

ولكن حين نناقش هذه القضية من ناحية منطقية نجد أن المرأة - بحكم قربها من الطفل أمّاً ومربية - مؤهلة أكثر من الرجل في فهم نفسية الطفل ومن ثم معرفة حاجاته الأساسية المختلفة. تستطيع المرأة من خلال تعاملها اليومي مع الطفل معرفة ما يحبه وما يكرهه، وما الذي يجذبه وينفره. إنها تستطيع أن تحدثه باللغة التي يفهمها، وهي وحدها التي تقدر إن كان طفلها يستوعب ما يقال أم لا. وهي وحدها أيضاً التي تعرف الموضوع الذي يشد طفلها ويجلب انتباهه أو العكس.

---

(١) المقصود بالأديبة العربية أي التي تتخذ اللغة العربية لغة لإبداعها.

ومن خلال هذا المنطلق نستطيع أن نقول: إن المرأة القريبة من الطفل - كأم أو معلمة - والتي تتوج هذه الخبرة بمعرفة نظرية في التربية وعلم النفس، وتمتلك قبل كل شيء الموهبة الفنية التي تمكنها من الإبداع سوف تقدم أدبا متميزاً يحقق المتعة الفنية للطفل، وفي الوقت نفسه يقدم الفائدة ويحقق الهدف الذي يتراءى أمام ناظريها وهي تمارس عملية الإبداع.

ومن هنا يتحتم علينا أن نؤكد على الدور المهم الذي يمكن أن تقوم به الأديبة العربية في مجال أدب الطفل، ومن ثم المسؤولية الملقاة على عاتقها تجاه هذا اللون من الأدب إن كانت تسعى حقاً إلى النهوض بالأمة وتحقيق مستقبل أفضل.

٢- لمحة عن واقع الإنتاج الأدبي المقدم للطفل في العالم العربي:

مما لا شك فيه أن الإنتاج المقدم للطفل في البلاد العربية في تزايد مستمر خاصة في الآونة الأخيرة، وبعد ازدياد الوعي بأهمية أدب الأطفال والدور الذي يمكن أن يؤديه في تربية الطفل وتوجيهه، خاصة بين التربويين والمعنيين بالطفولة وفي نطاق الأسرة. ولكن هذا التزايد والتطور يسير ببطء «ودون أن يكون لديه الآلية للدفاع عن ذاته في وجه المتطفلين عليه والمتاجرين به». [١] كما أنه يشيع في الأعمال الأدبية الأسلوب الوعظي المباشر الذي يسقط العمل الأدبي وربما يخرجه من دائرة الأدب، ويكثر ذلك في الإنتاج ذي الصبغة الإسلامية. وقد وصف د. علي الحديدي واقع الأدب العربي بأنه: «مقتبس من القصص الأجنبي أو معرب منه، أو مبسط من القصص العربي للكبار، والقليل منه هو ما كتب ابتداء للأطفال وفيه سمات الخلق والابتكار والتجديد» [٢]. كما أنه يؤكد على قضية كبيرة ومهمة بالنسبة لمن ينتج أدب الطفل، وهي عدم الاهتمام بالأسس العامة لأدب الأطفال سواء من الناحية النفسية أو اللغوية أو الفكرية [٣].

---

(١) د. جمال محمد الخطيب، أدب الأطفال العربي للأمام ولكن/ الأعمال الفائزة بجائزة راشد ابن حميد للثقافة والعلوم، ص ٧٠.

(٢) د. علي الحديدي، في أدب الأطفال، ص٢٧٢.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧٢.

ولكن هذا لا يعني أنه لا توجد أعمال أدبية جيدة ومتميزة تحمل في ثناياها معاني الأصالة والإبداع. فقد برزت فئة من المبدعين والمبدعات من الذين سخروا مواهبهم من أجل الارتقاء بأدب الطفل العربي والنهوض به ليحقق الأمل المرجو منه. ولكن هذه الفئة قليلة جداً إذا ما قورنت بعدد المبدعين في مجال أدب الكبار[1]. ويبدو أن نصيب المبدعات العربيات في مجال أدب الأطفال أقل من نصيب إخوانهن المبدعين.

وهذا يدعونا إلى سؤال مهم يطرح نفسه في هذه المرحلة وهو: إذا كانت المرأة مؤهلة أكثر من الرجل للكتابة للطفل، **فلماذا يظهر لنا أن إنتاجها الأدبي المقدم للطفل قليل، ولماذا تعرض كثير من المبدعات العربيات عن أدب الطفل والخوض فيه؟** وللإجابة على هذا السؤال لابد أن نبحث عن أسباب عزوف الأديبة العربية عن الإبداع في مجال أدب الأطفال. وعند تشخيصنا لذلك يمكننا أن نقف على الخطوات التي تمكننا من تشجيع المبدعات على القيام بدورهن تجاه فئة من المجتمع لها حقها في التمتع بأدب راق ومتميز.

٣- أسباب عزوف الأديبة العربية عن الكتابة في أدب الطفل:

المتابع لحركة التأليف والنشر في الوطن العربي في مجال أدب الأطفال يلحظ أن إنتاج المرأة قليل جداً. ولا بد أن وراء ذلك أسباباً كثيرة لعلنا فيما يأتي نتعرض لبعضها.

- **عدم الوعي بأهمية أدب الطفل والدور الذي يمكن أن يقوم به في تنشئة أجيال الأمة:**

هناك فئة من المبدعين والمبدعات يسعون إلى النهوض بأمتنا لتحقق دورها بين الأمم كما أراد الله لها، ويرون في الأدب وسيلة إلى ذلك، ومن ثم يسخرون إنتاجهم لتحقيق هذا الهدف. ولكن يغيب عن أذهان كثير منهم ما يمكن أن يحققه أدب الأطفال في هذا المجال، والدور الذي يمكن أن يقوم به في تنشئة أجيال الأمة،

(١) لا أستطيع أن أجزم بذلك، لأني لم أقف على استقراء لواقع الأعمال الأدبية للمرأة في مقابل الرجل، ولكن الظاهر يشير إلى ذلك.

لأنهم لو أدركوا هذا الدور ووعوا الأهمية الكبرى لأدب الطفل لما ترددوا في تشجيعه، وبذل كل الأسباب من أجل الخوض فيه والنهوض به.

إن الأدب يلعب دوراً مهماً في تكوين شخصيات الأطفال، فهو يسهم في نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي والروحي واللغوي، كما أنه يوسع مداركهم ويغني حياتهم بالثقافة ويساعدهم على فهم الحياة.

ويمكن أن نلخص دور الأدب بالنسبة للطفل في النقاط الآتية:

- للأدب دور مهم في توعية الأطفال بطريقة غير مباشرة.
- يساعد الطفل على فهم نفسه والبيئة المحيطة به.
- يحقق للطفل الشعور بالانتماء.
- يتعلم الطفل المهارات الاجتماعية من خلال ما يقدمه الأدب من نماذج للتفاعل الاجتماعي.
- إكساب الطفل القيم الصالحة التي تساعده على التمييز بين الخير والشر.
- النمو العاطفي، فالأدب يلبي حاجات الطفل العاطفية كالشعور بالأمان والإنجاز.
- التنفيس عن ضغوط الحياة.
- معالجة المشاعر السلبية كالحقد والكراهية..
- يساعد الأدب الأطفال على فهم مشاعرهم ومشاعر الآخرين.
- يلبي حاجة الأطفال للمعرفة، فهو يقدم المعلومات بالإضافة إلى أنه يرغبهم في الاستطلاع.
- تنمية المهارات اللغوية.
- حفز الخيال والتعبير المبدع.
- تذوق الجمال في النصوص والرسوم وغيرها، وتهذيب ذوق الطفل، وتعليمه تقدير القيم الجمالية [١].

(١) وفاء السبيل، أدب الأطفال/ الأعمال الفائزة بجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم، ص١٨٣ - ١٨٥.

ولعله اتضح لنا مما سبق أن أدب الأطفال والعناية به وتشجيع المبدعين فيه ليس ترفاً فكرياً أو زينة نزين بها حياة أطفالنا، وإنما هو ضرورة أساسية لوجودنا نستطيع من خلاله تحقيق الكثير من الآمال والطموحات التي نرجوها لأمتنا في حاضرها ومستقبلها.

• النظرة الدونية المرتبطة بأدب الطفل:

في السابق «كانت كتابة أدب الأطفال تعد تضحية كبرى بالشهرة الأدبية، فنظرة المجتمع إلى أدب «الصغار» كانت نظرة دونية كلها استهانة واستخفاف ولم يكن المربون يأخذون هذا النوع من أنواع الأدب مأخذ الجد» [1].

وفي زماننا الحاضر وبالرغم من التغيرات المختلفة التي مر بها المجتمع العربي خاصة فيما يتعلق بالأطفال وحقوقهم وتوفر المؤسسات المختلفة التي تعنى بشؤون الطفولة، إلا أن آثار تلك النظرة الدونية لمن يبدع للأطفال ما زالت موجودة حتى لو حاولنا إنكارها. إننا في كثير من الأحيان نجد أن المبدعين البارزين قد سخروا إنتاجهم من أجل الكبار، ولم يحاولوا الخوض في مجال الأطفال، لأن الشهرة والمجد مرتبطة بأدب الكبار لا في الصغار.

• صعوبة أدب الطفل:

الكتابة للأطفال ليست كالكتابة للكبار، فهي تتطلب معرفة خاصة بجمهور الأطفال. فلكي تكتب للطفل لا بد أن تعرف الموضوع الذي يهمه، واللغة التي يفهمها، والعاطفة التي تثيره، والطريقة أو الأسلوب الذي يشوقه. إنك لا تستطيع أن تقدم له أدباً يجذبه ويمتعه إن لم تفهم نفسيته وعقليته ومرحلة النمو التي يمر بها.

ولقد «تمخضت البحوث العلمية في ميدان علم نفس الطفولة بوجه عام والعلوم النفسية والتربوية والاجتماعية بوجه خاص عن شبكة من المرتكزات التي لم يعد

(١) د. جمال محمد الخطيب، أدب الأطفال العربي للأمام ولكن/ الأعمال الفائزة بجائزة راشد ابن حميد للثقافة والعلوم، ص٤٨.

بإمكان أدب الأطفال تجاهلها، فالطفولة مرحلة بالغة التعقيد، وعلى صانعي أدب الأطفال معرفتها حق المعرفة، إذ كلما تطور مستوى معرفة المشتغلين بأدب الأطفال بالطفولة ازدادت قدرتهم على صناعة الأدب الرفيع»[١]. وقد قسم الباحثون في أدب الأطفال جمهور الأطفال إلى فئات عمرية بناء على مراحل النمو المختلفة التي يمر بها الطفل والتي بينتها الدراسات في علم النفس والتربية. وهذه المراحل هي: مرحلة الطفولة الأولى (ما قبل ٣ سنوات)، ومرحلة الطفولة المبكرة (٣-٥ سنوات)، ومرحلة الطفولة المتوسطة (٦-٨ سنوات)، ومرحلة الطفولة المتأخرة (٩-١٢ سنة)، ولايمكن أن ينجح أدب الأطفال إلا إذا راعى خصائص هذه المراحل العمرية وسار تبعاً لها.

وبالرغم من أن أدب الأطفال تظهر عليه البساطة والسهولة إلا أنه من ناحية فنية من أصعب مجالات الإبداع، وصعوبته تأتي من بساطته ومن ضرورة موافقته لخصائص الأطفال وقدراتهم حسب الفئات العمرية التي سبق الحديث عنها. إنه يتطلب معرفة نظرية وخبرة عملية بالأطفال ومراحل النمو التي يمرون بها بالإضافة إلى الموهبة التي هي أساس الإبداع. ولهذا نرى كثيراً من المبدعات يتجنبن هذا اللون من الأدب لأنه يحتاج إلى جهد ووقت ومراجعة من أجل أن يتماشى مع حاجات الطفولة واهتماماتها. فأسهل للمبدعة أن توجه موهبتها إلى جمهور تعرفة وهي جزء منه ألا وهو جمهور الكبار.

• أدب الأطفال وذاتية الأديب :

في كثير من الأحيان تظهر ذاتية الأديب المبدع - الذي يوجه إنتاجه الأدبي إلى جمهور الكبار - في أدبه الذي يبدعه. حيث نراه ينطلق من تجربة ذاتية شعورية مر بها وشعر بها، واتخذ من الإبداع الأدبي وسيلة للتعبير عن هذه التجربة ومن ثم التنفيس عنها. إنه يشبع حاجة ذاتية لديه عن طريق التنفس عن هذه التجربة

(١) د. جمال محمد الخطيب، أدب الاطفال العربي للأمام ولكن/ الأعمال الفائزة بجائزة راشد ابن حميد للثقافة والعلوم، ص٤٥ .

والتعبير عنها. بينما لا يتحقق هذا الأمر للأديب الذي يوجه إنتاجه الأدبي إلى جمهور الأطفال. إنه يخلق تجربة خارجة عن إطار ذاته ويبذل جهداً كبيراً في تطوير هذه التجربة لتتفق مع عالم الطفل الذي يختلف عن عالم الكبار الذي يعيشه المبدع.

ولعل هذا الأمر من الأسباب التي تدفع كثيراً من المبدعات إلى الابتعاد عن أدب الطفل، والاستجابة إلى ذاتيتهن التي يمكن أن تظهر وتجد متنفساً من خلال الإبداع الموجه للكبار، بدلاً من الخوض في تجارب أخرى خارج إطار الذات.

٤- الدور المطلوب من الأديبات العربيات:

هناك دور كبير ينتظر الأديبة العربية المسلمة التي تسعى بوساطة إبداعها الأدبي إلى النهوض بأمتها ومجتمعها. هذا الدور يمكن أن تقوم به إذا تخلصت من الأسباب والعوائق التي تحدثنا عنها فيما سبق.

لا بد أن تؤمن الأديبة أولاً بأهمية أدب الأطفال والدور الذي يمكن أن يقوم به في تنشئة أجيال الأمة. كما لا بد أن تزيل كل ما علق في ذهنها من نظرة دونية ترتبط بأدب الأطفال أو من يبدع هذا اللون من الأدب.

وبعد أن تخطو الأديبة الخطوتين السابقتين يمكنها حينئذ أن تمتلك الجدية والجلد اللذين يدفعانها إلى التعرف إلى جمهور الأطفال من خلال المعرفة النظرية بمراحل النمو المختلفة التي يمر بها الأطفال والتغيرات التي تحدث في شتى جوانب النمو (أي النمو العقلي والنفسي والاجتماعي واللغوي....). ومن خلال الخبرة العملية التي تكتسبها باختلاطها بالأطفال وخوضها معهم في تجارب مختلفة (كالحديث معهم والقراءة عليهم واللعب معهم والانطلاق معهم عبر خيالاتهم المختلفة... وما شابه ذلك).

إذا استطاعت الأديبة أن تحقق الخطوات السابقة فإنها تلقائياً سوف تسخر أدبها وموهبتها من أجل أطفالنا والنهوض بأدبهم. سوف تتمكن الأديبة العربية المسلمة من أن تتخلص من ذاتيتها، وأن تلج عالم الصغار لتخلق تجارب فنية تحدث المتعة والفائدة لدى جمهور آخر مختلف عما تعودت عليه ألا وهو جمهور الأطفال.

إنها في ذلك الوقت - فقط - تكون قد حققت الدور المطلوب منها، كما أنها - ولا نشك في ذلك - سوف تقدم أدباً متميزاً يمكن أن ينهض بأدب الأطفال في عالمنا العربي.

٥- في بداية الطريق: جهود بعض الأديبات في الجزيرة والخليج العربي:

عندما نتحدث عن عزوف الأديبة العربية عن أدب الأطفال فإننا لا ننفي أن هناك محاولات جادة من قبل بعض المبدعات للخوض في هذا المجال. وهذه المحاولات تحتاج إلى رصد واستقصاء، ومن ثم دراستها دراسة نقدية من أجل تقويمها الذي يقود حتماً إلى الارتقاء بالإنتاج المستقبلي المقدم للأطفال.

وفي ختام هذا البحث سوف نشير إلى بعض النماذج في مجال قصة الطفل والتي هي من إنتاج المرأة المهتمة بأدب الأطفال في الجزيرة العربية والخليج. والهدف من ذلك هو التعريف ببعض الجهود وموقعها بالنسبة لأدب الطفل الذي نسعى إليه. ولعل هذا البحث القصير يكون بداية لدراسات مستقبلية جادة في مجال أدب الطفل في الجزيرة والخليج.

نماذج مختارة من قصص الأطفال في السعودية والكويت:

١) طيبة اليحيى /الكويت:

كتبت سلسلة قصص الطفل المسلم وتحتوي على خمس قصص هي: أبو لهب، بلال مؤذن الرسول ﷺ، الهجرة، أصحاب الفيل، النبي نوح عليه السلام. وقامت دار الدعوة بنشرها عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. وحجم القصة من القطع الكبير ذي الورق المصقول. وسوف نختار قصة «أبو لهب» وهي القصة الأولى من المجموعة.

قصة أبو لهب:

١- **ملخص القصة:** تحكي القصة حكاية أبي لهب عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وموقفه من الرسول هو وزوجته وما سببا من إيذاء للرسول جعلهما يستحقان عذاب الله في النار يوم القيامة.

٢- البناء الفني للقصة:

موضوع القصة يدخل ضمن أنواع كثيرة من القصص، فيمكن أن نصنف القصة ضمن القصص الديني أو قصص السيرة أو القصص التاريخي. وهي تناقش قضية الصراع بين الحق الذي يمثله الرسول - عليه الصلاة والسلام - والباطل ممثلاً بأبي لهب وزوجته. وزمن القصة هو بعد بعثة الرسول وقبل الهجرة حينما كان في مكة يدعو قريشاً إلى عبادة الله وحده. أما مكان القصة فهو في مكة وبالتحديد عند أحد الجبال المطلة على الكعبة عندما جمع الرسول الناس ليدعوهم إلى التوحيد. وينتقل الحدث إلى الأسواق ثم إلى الطرق التي يمر بها الرسول.

وتعتمد القصة على شخصيات ثلاث هي: الرسول وأبو لهب وزوجته، واعتمدت الكاتبة على أسلوب الوصف في رسمها للشخصيات خاصة أبو لهب وزوجته: «أبو لهب هذا الكافر وهو عم الرسول.. وأبو لهب بوجهه الكريه وطباعه البغيضة [١].. وزوجة أبي لهب كافرة مثله لا تحب النبي.. كانت تساعد زوجها الكافر على كفره» .[٢]

وحبكة القصة تعتمد على حدثين هما موقف أبي لهب من الرسول حين كان يدعو الناس جهراً وما قام به من سخرية واستهزاء، وموقف زوجته التي تساعد زوجها على إيذاء الرسول، وكلا الموقفين يغذيان الفكرة الرئيسة التي تمثل الصراع بين الخير ممثلاً بالرسول والشر ممثلاً بأبي لهب وزوجته وعاقبة كل منهما. ولم يظهر الترابط بين الحدثين بصورة فنية قصصية متسلسلة، وإنما انتقلت الكاتبة من الحدث الأول إلى الثاني فجأة دون أن تمهد له وتربطه بالحدث الأول. وختمت القصة بذكر عاقبة أبي لهب وزوجته ثم أعطت شرحاً موجزاً لنص الآيات.

واعتمدت الكاتبة في القصة على أسلوب السرد المباشر ويغلب عليه الوصف والإيضاح، وإن كانت استخدمت الحوار في بداية القصة حينما خاطب الرسول

---

(١) طيبة اليحيى، أبو لهب، ص٨.

(٢) طيبة اليحيى، أبو لهب، ص١٠.

الناس. كما أنها تعتمد على الجمل الطويلة، فقد تكون الفقرة كلها جملة واحدة، كما يغلب على القصة الأسلوب الوعظي المباشر خاصة في الحوار الجانبي الذي تثيره الكاتبة مع من يقرأ أو يستمع للقصة بين الأحداث، كقولها بعد تحذير الرسول للناس وقبل أن تبرز شخصية أبي لهب في الأحداث: «الكافر أبو لهب: هل أعجبه كلام النبي وأطاعه؟ لا لم يعجبه ولم يسلم ولم يطع الرسول»[١]. ويتكرر ذلك بين أحداث القصة ليصل إلى ست مداخلات وعظية، ولغة القصة لغة سهلة واضحة مناسبة للأطفال.

أما الشكل الخارجي للقصة فقد ذكرنا سابقاً أن القصة من الحجم الكبير ذي الورق اللامع، كما أن الخط واضح مع استخدام الشكل في بعض الأحيان. أما الرسوم المصاحبة فهي متواضعة جداً في مستواها من حيث الألوان والتناسق والانسجام بين عناصرها المختلفة. كما تختفي في الرسوم صور ذات الأرواح كاملة وتكتفي الرسوم بإظهار آثار الحدث (كالشوك المنثور في الطريق قرب الكعبة) [٢] أو وضع رسوم مبهمة (صورة أبي لهب وهو في السوق) [٣].

٣- إشارات نقدية حول قصة أبي لهب:

١) لم تحدد المرحلة العمرية المناسبة للقصة، بالرغم من أهمية هذا التحديد سواء لمن يقرأ القصة أو من يقدمها للأطفال. وهذا شائع في القصص العربية المقدمة للأطفال حيث يندر أن يحدد المؤلف العمر الموجه له القصة. ويبدو أن العمر المناسب للقصة هو مرحلة الطفولة المتوسطة أي من ٦-٨ سنوات.

٢) تظهر القصة أشبه بسرد تاريخي منها إلى قصة مع أنه كان بإمكان الكاتبة أن تسخر الأحداث في خلق حبكة فنية متماسكة خاصة أنها بدأت القصة بداية جيدة «في صباح أحد الأيام صعد الرسول ﷺ على جبل من الجبال المطلة على الكعبة

(١) المرجع السابق، ص ٨ .
(٢) المرجع السابق، ص١١.
(٣) المرجع السابق، ص ٩.

ونادى الناس» [١]. وبعد أن سارت بالحدث الأول الذي يمثل موقف أبي لهب إلى نهايته، كان بإمكانها أن تسخر الحدث الثاني الذي يمثل موقف زوجة أبي لهب ليكون متصلاً بالحدث الأول عن طريق شخصية الرسول بدلاً من إدخال زوجة أبي لهب عرضاً ودون مقدمة. ويتحقق الربط بين الموقفين ليمثلا وسط الحدث الرئيس للقصة لو أن الكاتبة وصفت حال الرسول حين عاد إلى منزله وما لاقاه في الطريق من إيذاء تسببت به زوجة أبي لهب، ثم تصل بعد ذلك إلى نهاية الحدث أو نقطة التنوير حين أنزل الله الآيات التي تسلي الرسول وتبين له عاقبة أبي لهب وزوجته.

٣) استخدمت الكاتبة مفردات قريبة من الأطفال وسهلة الفهم إلا في كلمة (كافر، وصابئ) والتي ترددت أكثر من مرة بالرغم من أنها من الألفاظ التي تحمل معاني مجردة يصعب على الأطفال فهمها، دون أن توضح الكاتبة معناها، والطفل في هذه المرحلة لا يستطيع أن يستوعب الألفاظ ذات المعاني المجردة. كالحرية والكرامة.. وذلك لأن تفكيره حسي.

٤) تفتقد لغة النص إلى الجمال المنبث من موسيقى الألفاظ وتآلفها الصوتي، حيث ينعدم السجع أو الازدواج أو التكرار.. إلى غير ذلك مما يجذب الأطفال ويمتعهم.

٥) جاءت الرسوم في القصة جامدة وخالية من الحياة، كما أنها رديئة فنياً، ومن الأفضل الاستغناء عنها لأن الغرض من الرسوم في قصة الطفل هو مساعدة الطفل على تكوين صورة ذهنية للأحداث ومن ثم نقل المضمون له بطريقة أسرع وأكثر تشويقاً. وهذا لم يتحقق في رسوم القصة.

والتحليل السابق لا يقلل من قيمة القصة، وإنما يوضح أنها محاولة جادة في سبيل أدب جيد، خاصة إذا نظرنا إلى تاريخ نشر القصة والذي يعود إلى ما قبل أربعة عشر عاماً.

---

(١) المرجع السابق، ص٦.

٢- هلا بنت خالد/ المملكة العربية السعودية:

تجمع هلا بنت خالد بين موهبة الرسم والكتابة للأطفال، وقد ألفت قصتين وقامت أيضاً بإعداد الرسوم الخاصة بهما، وهما: (قصة من الصحراء) و(أنا ميمون) ظهرت كلتا القصتين في العام: ١٤١٨هـ وهما من نشر دار الجربوع / الرياض.

حكاية (قصة من الصحراء):

١) ملخص القصة:

تحكي القصة حكاية صديقين هما الجربوع والجمل ريحان، يعيشان في الصحراء الهادئة. وفي أحد الأيام ينادي شيخهم بأنه سوف يقام سباق للهجن وأنه سيختار الأسرع ليشارك في هذا السباق، ويتباهى أحد الجمال (شهاب) ويزعم بافتخار وغرور بأنه هو الأسرع وهو الفائز لا محالة. ويدور تنافس بين الجملين يحاول فيه ريحان أن يثبت جدارته ويعمل بإصرار وعزيمة كي يفوز بالغنيمة. وفي النهاية يفوز على الجمل شهاب المغرور.

٢) البناء الفني للقصة:

١- تؤكد القصة على موضوع مهم وهو أهمية الثقة بالنفس وأن لا يستهين المرء بقدراته قبل أن يجربها. كما أنه يمكن أن يحقق المرء طموحه إذا صاحب ذلك عمل واجتهاد مع الثقة الدائمة بالله.

٢- بدأ زمن القصة بالليل، ثم أعقبه النهار الذي بدأ بصوت أذان الفجر ثم توالت الأحداث في النهار واستمر عرض أحداث النهار فقط في الأيام التالية، وفي النهاية تختم القصة أحداثها بالليل كما بدأتها من قبل. أما بيئة القصة المكانية فهي الصحراء بما فيها من اتساع ورحابة.

٣- تتنوع الشخصيات في القصة ما بين إنسان وحيوان ونبات، ويمثل الجمل ريحان الشخصية الرئيسة في القصة وهي شخصية نامية تتطور عبر الأحداث، وتطورها جاء طبيعياً واقعياً لا يتناقض مع طبيعة الحياة. كما أن الحوار في القصة

كشف لنا عن جوانب مهمة في شخصية ريحان (الحوار مع الجربوع والسكرية [١]، والحوار مع شيخ القبيلة) [٢]. وهناك شخصيات ثانوية ساعدت على إبراز الحدث وتطوره وهي: الجربوع، والنخلة، وشيخ القبيلة، والبعير شهاب.

٤- تبدو الحبكة طبيعية وغير متكلفة ومنسجمة مع واقع الحياة، وإذا نظرنا إلى طبيعة الحدث فإننا نجد أن بدايته كانت عند الإعلان عن سباق الهجن، وتوسطه في تصميم ريحان على المشاركة رغم العقبات ونهايته كانت بفوز ريحان في السباق. لذلك نستطيع أن نقول إن الحدث من النوع (البسيط) الذي يتكون من موقف واحد له بداية ووسط ونهاية.

٥- اعتمدت الكاتبة على الحوار أكثر من السرد مما أكسب النص حيوية وأبعده عن الجمود. كما أنها تعتمد على الجمل البسيطة القصيرة مع السجع الذي أكسب النص إيقاعاً موسيقيا، والتكرار (تكرار الجمل التي بدأت بها القصة في نهاية القصة). وحرص الكاتبة على انسجام الإيقاع بين الجمل أوقعها في اختيار ألفاظ صعبة لا تتناسب مع القاموس اللغوي للأطفال (يعدوان، حفية، أطمح، للعلا، الهيفاء، حظه الأغبر) وبعض هذه الألفاظ ذات معان مجردة غير حسية يصعب على الأطفال فهمها إلا في مرحلة الطفولة المتأخرة.

٦- حجم الكتاب من المتوسط مع تجليد فاخر متين، أما الرسومات فقد اتسمت بالبساطة والجمال، كما أنها تدعم النص وتكمله وتغني مضمونه، والكتاب بشكله العام يجذب الطفل ويدعوه للاطلاع عليه.

٣- إشارات نقدية حول القصة:

١- لم يذكر العمر المناسب للقصة، والذي يمكن أن نحدده بمرحلة الطفولة المتوسط (٦-٨ سنوات).

---

(١) هلا بنت خالد، قصة من الصحراء، ص١٣، ١٤، ١٥.

(٢) هلا بنت خالد، قصة من الصحراء، ص ٢٥.

٢- نجحت الكاتبة في توظيف بيئة القصة الزمانية لتتماشى مع الأحداث، وفي خلق جو نفسي يلائم الأحداث، لقد بدأت القصة بالليل وهو زمن السكون والهدوء والأحداث هادئة لم تتطور بعد، ولكن تطور الأحداث يتناسب مع النهار المليء بالحركة والحيوية، وبعد اكتمال الحدث عاد الزمن إلى الليل ليعود السكون والهدوء الذي بدأت به القصة.

أما بيئة القصة المكانية فقد نجحت الكاتبة في نقل كثير من مظاهر حياة الصحراء سواء من خلال النص أو الرسومات، حتى يمكننا أن نقول إن القصة توثيق لمظاهر الحياة في الصحراء وصورة لحياة البدوي المتمثلة في ملبسه ومأكله ومشربه وأسلوب حياته.

ولعل الكاتبة حرصت على أن يكون الكتاب سجلاً للبيئة الصحراوية من أجل أن تعزز انتماء الطفل العربي (وطفل الجزيرة العربية خاصة) لبيئته وتقوي صلته بها خاصة وأن أدب الأطفال في عالمنا العربي تغلب عليه التبعية للغرب أو الشرق وتنقصه الأصالة في كثير من الأحيان سواء في مضمونه أو شكله الخارجي.

٣- القصة في شكلها الخارجي تحفة فنية، ولا غرور في ذلك، فالمؤلفة هي التي أبدعت الرسومات، ومعلوم أن المؤلف حين يقوم بالرسم بنفسه يكون أقدر على تحقيق الانسجام بين النص والرسومات.

٤- الحبكة في القصة جاءت طبيعية وغير متكلفة، فالطفل يستطيع بسهولة أن يشعر بمشكلة ريحان ويتفاعل مع معاناته لأنه هو يواجه هذه المشكلة (الثقة بالنفس).

إن (قصة من الصحراء) محاولة ناجحة تتسم بالأصالة والبعد عن التقليد. كما أن هلا بنت خالد حرصت على استلهام التراث والبيئة العربية، وسخرت موهبتها الفنية من أجل ربط الطفل بها وتنمية شعوره بالانتماء إليها. إنها تسير بخطى ثابتة إلى الأمام وإلى ما نصبو إليه.

٦- المستقبل المأمول:

إن المستقبل لأدب الأطفال في العالم العربي مشرق بإذن الله تعالى، فلن تضيع الجهود التي يبذلها الكثيرون، ولن يخيب الله آمال وطموحات المهتمين بهذا المجال من مجالات الأدب من باحثين ومبدعين.

وإن الأمل معقود عليك أنت أيتها الأديبة العربية المسلمة، يا من تملكين الموهبة وتحملين هم الأمة. إن مستقبل أمتنا هو رهن لحاضرها، وأطفالنا اليوم هم رجالنا ونساؤنا في الغد، فإذا لم نهيئهم لعالم الغد والتحديات المستقبلية التي ستواجههم فإننا سنستمر بوضعنا المتردي الذي نعيشه اليوم.

أيتها الكاتبة..

وأيتها الشاعرة..

وأيتها الرسامة..

أما آن لك أن تسخري موهبتك لأطفالنا وزينة حياتنا وأمل مستقبلنا؟!.

إن كنت حقاً تحملين هم أمتك وتسعين بكل طاقتك لنهضتها؟.

الخاتمة

إن أهم قضية يثيرها هذا البحث القصير في مجال أدب الطفل، هو الدور المهم الذي يمكن أن تقوم به الأديبة والمبدعة. إن المرأة القريبة من الطفل - كأم أو معلمة... والتي تتوج هذه الخبرة بمعرفة نظرية في التربية وعلم النفس وتمتلك قبل كل شيء الموهبة الفنية التي تمكنها من الإبداع سوف تقدم أدباً متميزاً يحقق المتعة الفنية للطفل وفي الوقت نفسه يقدم الفائدة ويحقق الهدف الذي يتراءى أمام ناظريها وهي تمارس عملية الإبداع.

ولأن أدب الأطفال أدب يتسم بالصعوبة لأنه يتطلب معرفة ودراية بعالم الأطفال، ويحتاج إلى صبر وجلد من أجل التعرف على هذا العالم وما يهمه ويشغله ومن ثم تقديم خبرات وتجارب فنية تتناسب معه، من أجل ذلك كله ولأسباب أخرى أيضاً، ابتعدت كثير من مبدعاتنا عن أدب الأطفال وسخرن مواهبهن لأدب الكبار.

ولكن الأمل معقود على المستقبل ليكون أفضل من الحاضر خاصة وأن هناك علامات، وبدايات لمخاض فجر جديد يشرق فيه أدب الأطفال في عالمنا العربي، ليحقق الأمل المرجو منه. إن الأمل معقود بعد الله على كل من لديه اهتمام بأدب الطفل من أدباء وباحثين ودارسين ومبدعين.

وقبل كل شيء عليك أيتها المبدعة العربية المسلمة!.

المراجع

- الحديدي، د. علي/ في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- خالد، هلا بنت/ أنا ميمون، دار الجربوع، الرياض، ١٤١٨ هـ.
- خالد، هلا بنت/ قصة من الصحراء، دار الجربوع، الرياض، ١٤١٨هـ.
- الخطيب، د. جمال محمد / أدب الأطفال العربي للأمام ولكن، الأعمال الفائزة بجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم، الجزء الثاني، جمعية أم المؤمنين النسائية، عجمان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- السبيل، وفاء إبراهيم / أدب الأطفال، الأعمال الفائزة بجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم، الجزء الثاني، جمعية أم المؤمنين النسائية، عجمان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- نجيب، د. أحمد/ فن الكتابة للأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- اليحيى، طيبة/ سلسلة قصص الطفل المسلم، دار الدعوة، الكويت، ١٤٠٨هـ.